بسم الله الرحمن الرحيم

∞∞∞

تم عمل المسح الضوئي لهذة الرسالة بواسطة / سامية زكى يوسف

بقسم التوثيق الإلكتروني بمركز الشبكات وتكنولوجيا المعلومات دون أدنى مسئولية عن محتوى هذه الرسالة.

ملاحظات:

- بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل
- بعض الصفحات الأصلية تالفة
- بالرسالة صفحات قد تكون مكررة
- بالرسالة صفحات قد يكون بها خطأ ترقيم

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم الاجتماع

رسالة دكتوراه عن :

التراث الشعبى والبناء الطبقى

دراسة لعمليات إنتاج الثقافة الشعبية وتداولها بين فقراء الحضر فى القاهرة

إعداد

السعيد صابر المصرى

إشراف

أ.د. محمد الجوهرى
أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة

أ.د. أحمد زايد
أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة

٢٠٠٢

الاجازه

أجازت لجنه المناقشه هذه الرساله للحصول على درجه الدكتوراه في الآداب

بتقدير / بمرتبه الشرف الأولى مع التوصيه بتاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠٠٤

بطبع الرساله على نفقه الخاصه وبالتأزام مع الجامعات الأخرى ،

بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنـــه

الاسم	الدرجه العلميه	التوقيع
(١) سمير محمود الحجاوي	أستاذ ورئيس	
(٢) جمعه عبد الله زايد	استاذ ومشرف ومقرر	
(٣) محمد فهمي الكردي	أستاذ بكلية الآداب (عضو من خارج الجامعة)	
(٤) سعاد بسناسم أحمد	أستاذ علم الاجتماع بكلية البنات	

المحـــتـــويات

شكر وتقدير	
مقدمة الدراسة	١
الفصل الأول: الإجراءات المنهجية للدراسة	٧
١- مقدمة	٨
٢- مشكلة الدراسة	٨
٣- المدخل النظرى	١٠
٤- الفروض	١٤
٥- المفاهيم والتعريفات الإجرائية	١٥
٥-١ التراث الشعبى	١٥
٥-٢ الإنتاج الثقافى	١٦
٥-٣ التداول الثقافى	١٧
٥-٤ الطبقة الاجتماعية	١٨
٥-٥ الفقر	١٩
٦- طبيعة البيانات	٢٠
٧- مجتمع الدراسة	٢٠
٨- الإطار المنهجى لجمع البيانات	٢٢
٨-١ التعرف على مجتمع الدراسة	٢٢
٨-٢ المسح الاجتماعى	٢٤
٨-٣ جمع البيانات الكيفية	٢٥
٩- أدوات جمع البيانات	٢٧
٩-١ صحيفة الاستبيان	٢٧
٩-٢ المقابلة	٢٨
٩-٣ دليل العمل الميدانى	٣٠
٩-٤ دراسة الحالة	٣٥
٩-٥ الملاحظة	٣٧
١٠- التحليل والتفسير	٣٨

الفصل الثانى: إنتاج وتداول الثقافة الشعبية بين الفقراء: عرض انتقائى وتحليلى للتراث النظرى والإمبيريقى. ٤٣
١- مقدمة ٤٤
٢- الطبقة والثقافة ٤٥
٣- أسلوب حياة الفقراء ٥٦
٤- إنتاج الثقافة وتداولها ٦٤
٥- نحو مدخل نظرى للدراسة ٧٤
الفصل الثالث: حالة الفقر فى القاهرة ٧٧
١- مقدمة ٧٨
٢- بعض ملامح تاريخ الفقر فى القاهرة ٧٩
٣- معالم الفقر فى القاهرة ٨٤
٤- الفقر والبناء الطبقى القاهرى ٨٧
٥- توزيع الفقر فى أحياء القاهرة التاريخية ٩٠
الفصل الرابع: أركيولوجيا الفقر فى حى بولاق ٩٨
١- مقدمة ٩٩
٢- الخلفية التاريخية لحى بولاق ١٠٠
٣- الخصائص الاجتماعية والديموجرافية لحى بولاق ١٠٥
٤- مجتمع الجوابر بحى بولاق ١٠٩
٤-١ الإيكولوجيا والعمران ١٠٩
٤-٢ الحياة الاجتماعية فى المكان ١١٢
٤-٣ الملامح الاقتصادية ١١٥
٤-٤ معالم البنية الطبقية ١١٩
الفصل الخامس: تواتر التراث من خلال عادات الطعام ١٣٢
١- مقدمة ١٣٣
٢- التوافق مع الضرورة ١٣٥
٢-١ نظام الوجبات ١٣٥
٢-٢ أدوات الطعام ١٦١
٢-٣ آداب المائدة ١٦٥

٣- توظيف العلاقات التضامنية ١٨٢
٣-١ اقتسام نفقات الطعام ١٨٢
٣-٢ اقتسام أدوات الطعام ومستلزماته ١٨٥
٣-٣ اقتسام الأطعمة ١٨٧
٤- التماثل الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ١٩٠
٤-١ تماثل الأذواق ١٩١
٤-٢ تماثل الشعور بالحرمان ٢٠٠
٤-٣ المحافظة على التماثل من خلال إخفاء النعمة ٢٠١
٥- الشعور بالرضا ٢٠٤
٥-١ معنى الحرمان ومبرراته ٢٠٤
٥-٢ تكريس معنى القناعة ٢٠٨
٥-٣ بدائل الحرمان كمصدر للشعور بالرضا ٢١٢
الفصل السادس: استعادة التراث فى حياة الفقراء ٢١٧
١- مقدمة ٢١٨
٢- استعادة التراث فى مواجهة أحداث الحياة ٢٢٠
٢-١ أحداث مهمة فى الحياة ٢٢٥
٢-٢ الهجر فى حياة امرأة معدمة (نموذج لحدث مهم) ٢٢٧
٢-٣ ملاحظات حول استعادة التراث ٢٥٧
٣- استعادة التراث فى مواقف الحياة ٢٥٩
٤- آليات استعادة التراث: استخلاصات ٢٧٩
٤-١ التبرير والتفسير ٢٧٩
٤-٢ النصح والتوجيه ٢٨٦
٤-٣ النقد والسخرية ٢٨٩
الفصل السابع: إضافة العناصر الثقافية من الاستعارة إلى الإبداع ٢٩٣
١- مقدمة ٢٩٤
٢- آليات الاستعارة ٢٩٥
٢-١ المحاكاة الثقافية ٢٩٧
٢-٢ التلقى الثقافى ٣٠٦

٢-٣ التدين ٣١٦
٢-٤ الاستهلاك ٣٢٩
٣- الإبداع الثقافى ٣٤٠
٣-١ مجال الأمثال الشعبية ٣٤٢
٣-٢ مجال الأغانى الشعبية ٣٤٤
٣-٣ مجال الحكاية الشعبية ٣٤٩
الخاتمة ٣٥٦
المراجع العربية والأجنبية ٣٦٤
الملاحق ٣٨٥

شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر لأستاذى الدكتور / محمد الجوهرى أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة، الذى كان له الفضل فى اختيار هذا الموضوع وتوجيهى نحو دراسة البعد الطبقى فى التراث الشعبى. فقد بذل معى جهداً كبيراً فى تكوينى العلمى منذ بدايتى مع الدراسات العليا. وأدين له بالكثير فى رعايتى علمياً وإنسانياً. وأتمنى أن يوفقنى الله فى السير على المبادئ العلمية والأخلاقية التى أرساها بين تلاميذه فى كل مكان على امتداد الوطن العربى. وأتمنى له دوام الصحة والعافية لكى يستمر عطاءه العلمى والفكرى.

كما أتوجه بالشكر لأستاذى الدكتور / أحمد زايد أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة على ما قدمه لى من عون عبر سنوات التنشئة الأكاديمية. فقد كان لى وسيبقى دائماً، بعلمه ورقيه الإنسانى، النموذج والقدوة والملاذ. فله منى كل حب وتقدير.

وأتوجه بالشكر لأستاذى الدكتور / محمود الكردى أستاذ علم الاجتماع ووكيل كلية الآداب جامعة القاهرة، الذى تعلمت على يديه منذ أن كنت تلميذاً فى قسم الاجتماع وتعلمت من كتبه وأعماله وتوجيهاته وصلابته فى العمل العلمى وأشكر له تفضله الكريم بقبول مناقشة الرسالة. وأتمنى أن تتاح لى فى المستقبل القريب المزيد من فرص التعليم على يديه.

كما أشكر الأستاذة الدكتورة / سعاد عثمان أستاذة ورئيس قسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس، على تفضلها بالموافقة على مناقشة الرسالة. ولقد كانت مساهماتها العلمية المتميزة فى دراسات التراث الشعبى عوناً لى على اجتياز هذا الطريق الصعب. وكم أنا فخورٌ بمشاركتها فى الحكم على هذا العمل.فلها كل التقدير والإحترام....

سعيد المصرى

مقدمة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى فهم عمليات إنتاج وتداول الثقافة الشعبية بين فقراء الحضر فى القاهرة. ويتحدد إطار الدراسة، والذى تم بمقتضاه جمع بياناتها، وفقا لمفهومى الإنتاج، والتداول. ويقصد بالإنتاج الثقافى العمليات المركبة التى تنطوى على ممارسة دائمة للتراث بحيث يظل حيا بين أعضاء جماعة ما من الناس وماثلا فى ذاكرتهم الجماعية. ولا يعنى ذلك ثباتا مطلقا أو تغيرا كاملا لعناصر التراث، وإنما ممارسات متجددة ودائمة للعناصر التراثية. وبهذا المعنى تصبح كل ممارسة للتراث الشعبى إنتاجا جديدا له. أما التداول الثقافى فهو الإطار الذى تمارس بمقتضاه العناصر التراثية فى حلقات متصلة يشارك فيها كثير من الناس. ولا يعنى ذلك مجرد استهلاك أو انتشار لعناصر ثقافية. فالتداول أوسع وأعمق من ذلك بكثير ويصعب فهمه دون النظر إلى من يشاركون فى ممارسة التراث باعتبارهم فاعلين ومساهمين فى تجديد التراث بصورة أو بأخرى. وبالتالى تتحرك الممارسات الثقافية - خلال التداول- على نحو متجدد فيما بين الناس لكى تكتسب معان ووظائف جديدة. وكل حلقة من حلقات التداول تحمل فى طياتها خبرات وتجارب متجددة فى ممارسة التراث. ولهذا يعد التداول جزء لا يتجزأ من عمليات الإنتاج الثقافى ومتمما لها ومتداخلا معها أشد التداخل.

وعندما تتناول الدراسة بالتحليل عمليات الإنتاج والتداول معا، فإنما تشير بذلك إلى كيان مركب لا يجوز الفصل فيه بين ما يخص الإنتاج من ناحية، وما يتعلق بالتداول من ناحية أخرى. فالإنتاج والتداول الثقافى وجهان لعمليات واحدة تتلخص فى الممارسات المتجددة للعناصر التراثية. وبطبيعة الحال، فإن تفسير الكيفية التى يتم بموجبها الإنتاج والتداول الثقافى على هذا النحو، يمثل سعيا حثيثا إلى تجاوز ثنائية الثبات والتغير التى سيطرت على الدراسات الثقافية فى علمى الاجتماع والأنثروبولوجيا قرابة ربع قرن. فهناك منطقة غامضة بين حالتى الثبات والتغير يتعين النظر إليها بعمق. فالتراث المتجدد فى حالة من التغير الدائم بما يوحى بأن عناصره ثابتة عبر الزمن.

وتعد بحوث علم الاجتماع الثقافى Sociology of Culture بمثابة الإطار الأوسع لمعالجة هذا الموضوع. وهو الإطار الذى يشكل تحولا رئيسيا فى اهتمامات علم الاجتماع المعاصر خلال الخمسة وعشرين عاما الماضية. لقد ساهم التحول السوسيولوجى نحو دراسة الثقافة فى الانفتاح على مجالات بحثية عديدة ومتنوعة. وساهم أيضا فى تزايد الوعى بأبعاد التداخل الشديد والمعقد بين الظواهر الثقافية والجوانب المختلفة للأبنية الاجتماعية. ولم يعد مقبولا اليوم النظر إلى الثقافة على أنها ذات جوهر مستقل، أو أنها مجرد مرآة للبنية الاجتماعية. فالعلاقة بين الثقافة والبنية الاجتماعية إشكالية إلى حد كبير[1]. وعلى ضوء ذلك فالإطار الذى تنطلق منه هذه الدراسة مستمد من تحليل العلاقة بين التراث الشعبى والبنية الطبقية.

لقد نشأ الاهتمام بمجالى التراث الشعبى، والبناء الطبقى وتطورا فى سياقين مختلفين ومتباعدين هما: التحليلات الماركسية – الفيبرية للطبقات فى علم الاجتماع والاقتصاد السياسى من ناحية، والدراسات الثقافية فى علم الفولكلور والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض الدراسات الأدبية من ناحية أخرى. وساد الاعتقاد لفترة طويلة من تاريخ العلم الاجتماعى أن بيئة نمط الإنتاج الرأسمالى، التى تبرز فيها أهمية العلاقة بين رأس المال والعمل، تقتضى استخدام الطبقة كأداة مفيدة فى فهم المجتمع الحديث. وفى المقابل، ساد الاعتقاد أيضاً بأن بيئة المجتمعات التقليدية البسيطة، التى تتعايش فيها أنماط إنتاجية متعددة، هى بيئة مناسبة لاستخدام التحليلات الثقافية والاقتصاد المعنوى Moral Economy والتراث الشعبى. لقد تطور هذان الاتجاهان إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وكون كل منهما تراثاً مستقلاً. وفى بعض الدراسات التى كانت تهدف إلى توسيع دائرة النظر فى التحليل استخدم مفهوما الطبقة والثقافة على نحو خاص. حدث ذلك بالنسبة لمفهوم الطبقة فى التحليلات الثقافية، وكذلك أيضا بالنسبة لمفهوم الثقافة فى التحليلات الطبقية.

---

(1) Peterson, R.A., **Culture Studies Through The Production Perspective**: Progress and Prospect, In. Diana Crain (ed.) The Sociology of culture: Emerging Theoretical Perspectives, Cambridge: Blackwell, 1994, pp. 164-165.

وعلى نفس المنوال، بدأت دراسات التراث الشعبى فى مصر منذ السبعينات بتأصيل مفهوم التراث وتحديد عناصره ووضع حدود منهجية صارمة لكيفية دراسته وجمعه، أملاً فى رسم خرائط للعناصر التراثية ضمن أطلس الفولكلور المصرى. وفى المقابل كانت دراسات الطبقات مشغولة بتأصيل مفهوم الطبقة فى محاولة لرسم خريطة طبقية للمجتمع المصرى. وشهدت سنوات العقدين الماضيين نشاطاً ملحوظاً فى اهتمام علم الاجتماع بالثقافة من ناحية، واهتماماً متعاظماً من جانب دراسات التراث الشعبى بالبعد السوسيولوجى من ناحية أخرى. ومع ذلك ظلت الفجوة المعرفية على حالها. ولا توجد دراسات-فى حدود اطلاعى- تتصدى على نحو مباشر للعلاقة بين التراث الشعبى والبناء الطبقى. من هنا تحاول هذه الدراسة المساهمة فى تقريب تلك الفجوة المعرفية من خلال دراسة مدى تأثر التراث الشعبى فى إنتاجه وتداوله بتشكل الوضع الطبقى لفقراء الحضر بالقاهرة.

ويفترض فى تحليل العلاقة بين التراث الشعبى والوضع الطبقى وجود جوانب من التراث يتأثر فيها الإنتاج والتداول الثقافى بالبعد الطبقى. كما يفترض -فى المقابل- وجود جوانب أخرى من الإنتاج والتداول الثقافى تتجاوز البعد الطبقى. ويتعين على هذه الدراسة أن تكشف عن حدود الاتصال والانفصال بين الديناميات الطبقية والديناميات الثقافية.

ومن هذا المنطلق فإن تركيز الدراسة سوف ينحصر فى دراسة أساليب حياة الفقراء، باعتبارهم يشكلون جماعات تقع فى أدنى السلم الطبقى. مما يعنى أن إمكانياتهم الاجتماعية والاقتصادية، بل والثقافية بالمعنى الرفيع للثقافة، لا تتيح لهم سوى فرصا قليلة ومحدودة للتواصل مع الثقافة الحديثة والتغيرات العالمية. ويفترض أن هذه الوضعية الطبقية للفقراء تساهم فى خلق تجربة طبقية ذات طبيعة خاصة فى الإنتاج والتداول الثقافى. وهنا ينبغى على الدراسة أن تكشف عن حدود هذه التجربة، وإلى أى مدى يعد الفقراء قادرون على الإنتاج والتداول الثقافى رغم تدنى أحوالهم وندرة إمكانياتهم.

يضاف إلى ذلك أن بحوث التراث الشعبى تبرهن دائما على شدة ارتباط الفقراء بالتراث الشعبى. فهو بمثابة رأسمالهم الحقيقى فى ظل حرمانهم من

الوصول إلى الموارد والأصول. ولهذا تفترض الدراسة أيضا – في منطقها النظرى– أن أساليب حياة الفقراء تنطوى على قدر من الثراء ينبغى الكشف عنه لأنه يعبر عن سر بقائهم رغم ظروفهم البائسة. كما أن أساليب حياتهم تنطوى على قدر من الاختيار رغم ارتباطها بالندرة والضرورة، وأن حياة الفقراء تمتزج فيها أيضا العوامل البنائية والثقافية المولدة للفقر.

وبناء على ذلك طورت الدراسة تصورا لعمليات الإنتاج والتداول الثقافى بين الفقراء تم تحديده فى أربع عمليات وهى : تواتر العناصر التراثية، واستعادة التراث، واستعارة التراث، وإبداع العناصر التراثية. كما حاولت الدراسة المزج بين النظرية والإمبيريقية فى رصد ملامح وأبعاد هذه العمليات والشواهد الدالة عليها، وكذلك الشواهد الإمبيريقية لمختلف آلياتها.

وتنقسم الدراسة إلى سبعة فصول، يتناول الفصل الأول عرضا مفصلا للإجراءات المنهجية للدراسة. ويشمل ذلك إشكالية الدراسة وفروضها والمفاهيم والتعريفات الإجرائية وطبيعة البيانات، وأسلوب اختيار مجتمع الدراسة، والإطار المنهجى لجمع البيانات الكمية والكيفية، وأدوات جمع البيانات وأساليب التحليل والتفسير.

ويعرض الفصل الثانى للتراث النظرى والإمبيريقى فى دراسة عمليات إنتاج وتداول الثقافة الشعبية بين الفقراء وذلك فى ضوء ثلاثة مداخل أساسية وهى : تفسير العلاقات الدينامية بين الثقافة والبنية الطبقية، وتفسير عالم الفقراء والطبقة الدنيا بين الحتمية البنائية والحتمية الثقافية، وأخيرا الكيفية التى يتم بموجبها إنتاج وتداول العناصر الثقافية وخصوصا فيما يتعلق بالتراث الشعبى. واختتم الفصل بعرض إطار نظرى للدراسة.

وخصص الفصل الثالث لتحليل حالة الفقر فى مدينة القاهرة، حيث ركز على بعض ملامح تاريخ الفقر فى القاهرة استنادا إلى المصادر التاريخية، ثم قدم وصفاً لمعالم الفقر فى القاهرة من واقع بيانات التعداد القومى، وأعقب ذلك تحليلاً لمعالم البناء الطبقى القاهرى وأوضاع الفقراء داخله باستخدام عدة مؤشرات اجتماعية واقتصادية مبنية على بيانات التعداد القومى أيضا. وعلى ضوء ذلك تم

اختيار حى بولاق لإجراء الدراسة الميدانية بعد أن كشفت المؤشرات عن تركز الفقراء بين غالبية سكانه واحتلاله الترتيب الأدنى اجتماعيا واقتصاديا بين أحياء القاهرة التاريخية.

وفى الفصل الرابع تم تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحى بولاق من منظور تاريخى، بالإضافة إلى تحليل معالم الفقر فى هذا الحى استنادا إلى بيانات التعداد القومى. ومن خلال قياس مستوى الفقر فى شياخات هذا الحى تم اختيار شياخة الجوابر باعتبارها أكثر المناطق تركزا للفقراء. وعلى ضوء ذلك قدم الفصل الرابع أيضا تحليلا للمعالم العمرانية والاجتماعية والاقتصادية لشياخة الجوابر من واقع بيانات المسح الاجتماعى الذى أجرى فى إطار هذه الدراسة، بالإضافة إلى تحليل البناء الطبقى فى الجوابر من خلال مقياس مركب للتدرج الطبقى تم تصميمه لهذا الغرض من واقع بيانات المسح الاجتماعى. وتشير نتائج التحليل إلى وجود ثلاث شرائح للفقراء: الدنيا، والوسطى، والعليا.

وابتداء من الفصل الخامس وحتى السابع ركزت الدراسة على عمليات الإنتاج والتداول الثقافى للفقراء ككل بمختلف شرائحهم. ففى الفصل الخامس تم التركيز على عملية تواتر التراث بالتطبيق على عادات الطعام. حيث عرض لأربعة آليات تتم بموجبها عملية التواتر وهى : التوافق مع الضرورة وتوظيف العلاقات التضامنية، والتماثل الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، والشعور بالرضا.

ويعرض الفصل السادس لعملية استعادة التراث من واقع الاحتكام إلى الخبرات السابقة مع التراث وإعادة ممارستها وتوظيفها من جديد فى أحداث ومواقف متجددة. يتضح ذلك من خلال السرد القصصى لنماذج من أحداث الحياة المهمة إلى جانب بعض المواقف فى الحياة اليومية للفقراء، ثم إجراء تحليل مكثف لأبعاد الاستعادة. وتخلل التحليل رصدا لخصائص عملية الاستعادة ومجالاتها وآلياتها : التبرير والتفسير، النصح والتوجيه، النقد والسخرية.

وفى الفصل السابع، تعرض الدراسة لعمليتى الاستعارة والإبداع باعتبارهما تمثلان نشاطا يستهدف الإضافة إلى التراث القائم لدى الفقراء. فإذا كانت الاستعارة تضيف إلى التراث عناصر جديدة من مصادر أخرى خارج

الجماعات الطبقية، فالإبداع يضيف إلى تراث الفقراء عناصر جديدة بفعل الجهود الخلاقة للفاعلين. وتم تحليل عملية الاستعارة من خلال أربعة آليات وهى : المحاكاة الثقافية، والتلقى الثقافى والتدين والنزعة الاستهلاكية. كما تم تحليل عملية الإبداع من خلال ثلاثة نماذج للتراث الشفاهى وهى الأمثال الشعبية وأغانى الأطفال. وتضمن التحليل بعض الشواهد الدالة على آليات الإبداع.

وفى الخاتمة تعرض الدراسة لأهم النتائج التى توصلت إليها، وخصوصا فيما يتعلق بالإطار النظرى الذى انطلقت منه والفروض التى حاولت اختبارها ميدانيا.